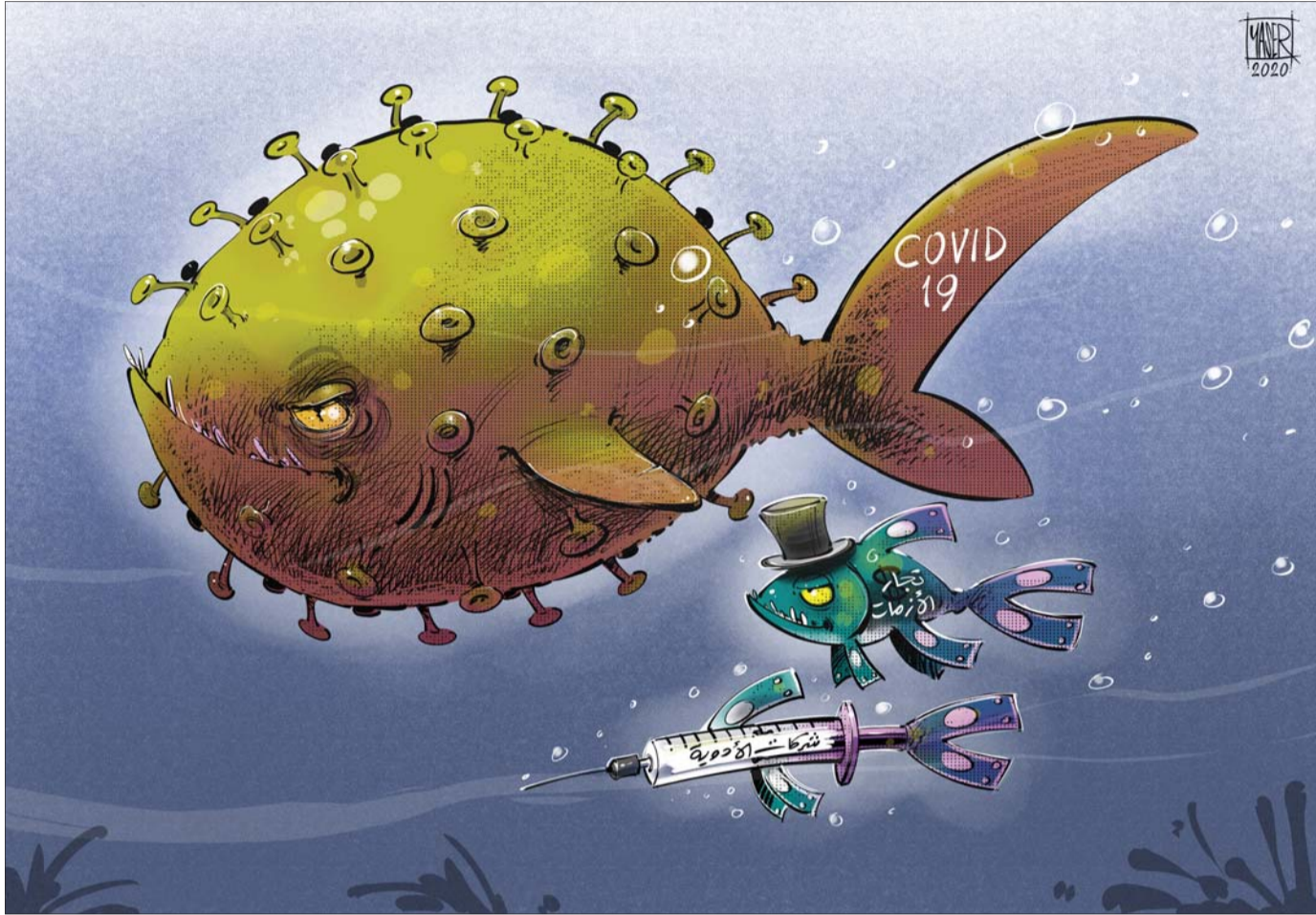


## أغنياء كورونا أخطر من أغنياء الحرب



الغاشمة المادية والمعنوية، في مقدمتها وقف المتاجرة بالأمم والناس وامراضهم، وكل ما له علاقة بتحقيق مكاسب على حساب الآخرين.

تقول المؤشرات التي ظهرت في الأيام التالية للمحنة، إن أزمة كورونا لم تردع أو توقف أحدا عن ارتكاب الجرائم المعروفة عن البشر، وأبرزها توظيفها في جني أرباح باهظة، وبدت ليست كافية لتقديم العبر، فقد راحت السكرة التي صاحبته في البدايات، وظهرت الفكرة عقب استيعاب الصدمة، وعاد العالم إلى شواغله، الكل يحاول تعظيم الاستفادة وتقليل الخسائر، والنيل من الآخرين بأي وسيلة، دون مراعاة لانعكاسات السلوك السلبى على من حوله، فالهمج زيادة الغلة من وراء الأزمة.

صوب كورونا مدافعه نحو أعز ما يملك الإنسان، وهو صحته، ولا أحد يعلم متى وأين وكيف وماذا يضر ضربه، وبدا التأثير شديدا بما يتناسب مع حجم الفاجعة وما خلفته من تداعيات، حيث فرضت على كل دول العالم تغيير جداول أعمالها، والبحث عن السبل الناجعة لتخطيها أو تخفيف مخاطرها، وإيجاد المخارج المناسبة لعبورها في حدود الإمكانيات والقدرات.

تفاوتت البيات التعامل مع كورونا، وكل دولة بدأت تتصرف وفقا لرؤيتها الصحية وحساباتها الاقتصادية، وتشابك الجانبان في نواحي كثيرة، ودخلت على خطوطهما مكونات سياسية وأمنية واجتماعية أملا في تجاوز تحديات أزمة قرر الجميع التعايش معها قسريا وتحمل تكاليفها، طالما أن الحل لم يظهر بعد، وقد يستغرق وقتا طويلا.

تطلب التعايش توفير مستلزمات طبية وصحية. باختصار بيئة ملائمة للتكيف مع الأزمة، وهو ما يحتاج إلى توفير إمكانيات تسمح بالتعايش لفترة يصعب توقع نهايتها، بينها الكمادات والفحازات، ناهيك عن متطلبات الطواقم الطبية للحماية، والمعدات اللازمة للكشف والمتابعة، من أجهزة تنفس صناعي وأدوات

محمد أبو الفضل  
كاتب مصري

عرفت دول كثيرة أغنياء الحرب الذين يستفيدون من اشتعال المعارك في أماكن مختلفة، ويحصلون مكاسب كبيرة كلما اشتعلت النيران، من الأفراد والجماعات، والدول والشركات، وهي ظاهرة ليست وليدة اليوم، بل تمتد جذورها لقرون طويلة، منذ ظهرت الحروب في أشكالها البدائية، وزادت الفوائد مع التطورات التي دخلت عليها، والوسائل التي تستخدمها في حالتها الدفاع والهجوم، التي تلعب دورا مهما في تغذيتها.

لم تنته هذه المسألة، ودخلت عليها ظواهر أخرى تدور في السياق نفسه، ولحقت بمجالات متباينة، بعضها واضح ومعروف في العناوين، وغالبيتها تلتحف بأدوات خفية ومجهولة، بينها المغامرات التي تحصد شركات الأدوية العالمية مع اتساع رقعة الأمراض وانتشار الأوبئة، وهي تجارة سخية تسيطر على جزء معتبر من الاقتصاد الدولي، مع تنوع فروعها وتعدد القنوات التي تعمل من خلالها، وتنوع وتعدد أرباحها. حظيت القضايا المتعلقة بأغنياء الحرب والأدوية وكل ما له علاقة بالتركيبة غير المشروعة للمغامرات باهتمام كبير من قبل، وجرى تسليط الأضواء على جوانبها الأخلاقية، ويستطيع أي إنسان بضغطة زر على محرك البحث "غوغل" التعرف على الكثير من تفاصيل العمل في هذه المجالات، ويتحصل على معلومات ويتعرف على أسرار تكشف له عوالم مليئة بالكمالات التي تصب في اتجاه الاستثمار في الأوجاع.

جاء فايروس كورونا وما صاحبه من صدمات ومفاجآت، وقيل في بداياته إن العالم فهم الرسالة، على القوى المغترية، دولا وأفرادا، أن تتعظ من المحنة ودرسها، وتغير من عبرها، فالجائحة التي انطلقت من مكان ما، لا أحد يعلم قطعا هل هو ووهان في الصين أم لا، قد تحمل معها سمات تعاون، ورغبة عارمة في التكاثر ونيل الهيمنة والتسلط والتخلي عن الكثير من أنواع القوة

من الطبيعي رواج تجارة الكمادات والمستلزمات الطبية، لكن ليس عاديا أن الغش في المواصفات الطبية أو تقديمها بصورة لا تصلح للاستخدام الأدمي، فأغنياء الحروب لا يستطيعون تقديم أسلحة مغشوشة، تضرب في اتجاه صاحبها بدلا من العدو، في حين أن تجار كورونا فعلوها في دول كثيرة، لأنهم يريدون تحقيق أرباح، ياملون استمرار المرض كأنهم يشيرون إلى حتمية التأقلم مع الفايروس مدى الحياة.

بغض النظر عن الوازع المادي الذي دفع هؤلاء لهذا النوع من السلوك، فهو يؤكد أن أغنياء كورونا صاروا أخطر من أغنياء الحروب. عندما يرتبط الأمر بصحة الإنسان من الواجب أن تكون هناك وقفة، لأن تصرف الكمادات المغشوشة جزء من تصرف أعم سوف يعانى منه العالم على يد من استثمروا في كوفيد - 19، وحولوه من محنة صحية إلى منحة اقتصادية، وربما هبة إستراتيجية يعيدون بها تشكيل العالم.

قديمة تتجدد مع الأزمات والحروب، وكل جهة تعرف ماذا تريد من أهداف وكيف تحققها من أقصر طريق. يبدو رصد الظاهرة على المستوى الكبير (الماكرو) جليا، وخبره كثيرون وعرفوا الأطراف الرئيسية والفاعلة فيه من دول وشركات وجماعات ضغط، وهي عملية ممتدة تدور حولها حروب مباشرة وبالوكالة، وكورونا لن يكون أول أو آخر ملامحها، بينما يظل رصد الظاهرة على المستوى الصغير (المايكرو) كاشفا لحجم ما يعتمل من تطورات اقتصادية ومجتمعية.

عندما قررت الدول فرض استخدام الكمامة حفاظا على صحة المواطنين انتعشت بورصة المتاجرة في هذه البضاعة، وحولت الكثير من المصانع خطوط إنتاج الملابس إلى تقديم هذه السلعة الضرورية التي أصبحت فرض عين على الناس، يتعرض المخالفون في بعض الدول إلى غرامات مالية كبيرة، وتتفاوت أسعارها من بلد لآخر، ومن مدينة لأخرى.

## بعيدا عن الجدل النظري فإن أغنياء كورونا المحتملين من دول وشركات وأفراد وكل من يلف لفهم يخوضون معارك ضارية لتحويل الفايروس المدمر إلى مدخل جديد يزيد الأغنياء غنى والفقراء فقرا

بعيدا عن التناظر العلمي والجدل النظري الدائر حول هذه الإشكالية، فإن أغنياء كورونا المحتملين من دول وشركات وأفراد، وكل من يلف لفهم، يخوضون معارك ضارية لتحويل الفايروس المدمر إلى مدخل جديد يزيد الأغنياء غنى والفقراء فقرا. هي معادلة

لإجراء المسحات والكشف عن الفايروس، وغيرها. ظهرت المتاجرة في أجلى صورها، وأخذت شكلا سياسيا ومعنويا ورمزيا عبر الطائرات والسفن التي تدفقت من دول الوفرة إلى الندرة، وهي محملة بالمعدات الطبية، خفقت هذه الدبلوماسية، وظهرت مكانها المتاجرة على المستوى الفردي والجماعي، التي تبدأ من صراع شركات الأدوية العملاقة على التوصل إلى اللقاحات والمضادات لعلاج المرض وحتى صناعة الكمادات، مروراً بالمعدات الطبية الباهظة. خرجت القصة من إطار المعاملات وتعزيز العلاقات وتحويل الفائض إلى دول العجز، ودخلت في مربع الحرب على توابع كورونا الاقتصادية، بدأت تستعر معالمها بين شركات عابرة للحدود، كل منها تحاول قلم جزء كبير من كعكة الفايروس المجهول، والذي لم تقطع الدراسات والأبحاث وأجهزة الاستخبارات ما إذا كان جاء من محور الطبيعة أم مخلقا.

## الانقلاب العراقي على المعممين

والعاطل عن العمل قد أفاق أخيرا، وأصبح مؤمنا بأن الله ليس في حاجة للدفاع عنه ولنشر دينه، إلى شلل من الكذابين المزورين الذين لا يأخون من كتاب الله إلا ما يرضى مصالحهم، ويُسْرَعون لهم مظالمهم وسرقاتهم، فقط لا غير.

ما يشهده العراق اليوم ليس سقوطاً للإسلام السياسي العراقي، فقط، بل بدايةً للنهاية الأبدية للخلافة الإسلامية (الشيعة) في طهران ولملحقاتها حزب الله وبدر وعصائب وشيقاتها في الجانب الشيعي

والخلاصة، هي أن ما يشهده العراق اليوم ليس سقوطاً للإسلام السياسي العراقي، فقط، بل بدايةً للنهاية الأبدية للخلافة الإسلامية (الشيعة) في طهران ولملحقاتها حزب الله وبدر وعصائب وشيقاتها في الجانب الشيعي، وكذلك الخلافة الإسلامية (السنية) العثمانية الجديدة في أنقرة وتوابعها داعش والقاعدة والإخوان المقيهور والمسرورق، أبى من شاء من شاء.

إن معممين سنة كباراً يتبؤون مراكز قيادية دينية عليا في الطائفة سقطوا في الاختبار، حين تحولوا إلى وعاظ مصفقين ومباركين للحاكمين، وعبدا للمحتلين، وأصبحوا جزءاً من حكومة الفساد والانتهائية والانحراف. يقابلها حالة فقر وعوز وقلة خدمات وبطالة وظلم يعيشها المواطن العراقي في مدن وقرى ومناطق كانت، إلى عهد قريب، مشهورة بالتدين والاحترام الكامل الثابت للمرجعات والمؤسسات والقيادات الدينية، بلا حدود.

وما يمكن تأكيد هنا هو أن ثورة الأجيال الجديدة من العراقيين لم تطل المعممين المسكينين بالسلطة وحدهم، بل إن نيرانها اقتربت كثيرا من المرجعات العليا، نفسها، بسبب تهاونها وصمتها عن فساد الفاسدين. بعبارة أوضح، إن الحكام المعممين قد الحقوا، بفسادهم، ضررا كبيرا بالعلاقة بين المواطن والمؤسسة الدينية، بل خلقوا هوة سحيقة بين شباب الأجيال الجديدة وبين الدين الإسلامي، نفسه، إلى حد بعيد. وليكن معروفا جيدا للمعممين الشاكين من فقدانهم الهيبة والاحترام أن المواطن العراقي والمغشوش

أبطالها المعممون المنتفون، ومن تبعهم وتلق حولهم من السماسرة والمنافقين وخدم الدنانير. وكما كثر في زمن النظام (العلماني) السابق حملة القاب الكرمتي والدليمي والعمرى والبكري، بغرض التكبس والابتزاز والاستغلال، فقد كثر في زمن الحكم (الإسلامي) الحالي حملة القاب الموسوي والحسيني والعلوي، وبغرض التكبس والابتزاز والاستغلال، أيضا، حتى لم يعد أحد يستطيع أن يفرق بين المدعي المزيف منهم وبين صاحب النسب الأصل.

وليس هذا حال المعممين الشيعة مع جماهيرهم، وحسب، بل

الخارجية، وبالعقوق وقلة الأدب وسوء التربية وفساد العقول. وكان الأحرى بهم أن يعترفوا بأن الذي جعل العراقيين عامة، وأبناء الأجيال الجديدة وبيناتها خاصة، يرفضون سطوة المعممين وشعاراتهم وخطاباتهم ومواقفهم وفناوهم هو ما فعله المعممون أنفسهم بانفسهم، وبالدليل الملموس والبيئة المرئية الثابتة التي لا تحتاج إلى كلام.

فقد كان فسادهم أكبر من قدرتهم على ستره، فافترضوا، وأصبحوا ضحاياها، لينطبق عليهم المثل الشعبي (اللحمة الكبيرة تخفق بلاعها). فمن أسبط الأمور العراقية، اليوم، رصد ظاهرتين مهمتين، الأولى حالة الفراء الفاضح المستحدث والبذخ الفاضح التي يعيشها رجال السلطة المعممين وأسْرهم وأقاربهم ومحاسبيهم، بعد أن كانوا فقراء بائسين يرتزقون في دول اللجوء بالفئات من المساعدات والإعانات، إلى درجة أن أغلب عمليات الاختلاس الكبرى والسرقة والإحتيال والسطو على أموال الدولة وعلى قصور رجال العهد السابق، وتهريب الأموال إلى الخارج، ثبت بالدليل القاطع الملموس أن

ممثلها المؤمن الوحيد المؤكل من الله ورسوله والله بقيادة الطائفة إلى شاطئ الأمان.

حتى لم يكن يخطر على بال أبدا أن يفض عنهم أحد من مقلديهم، وأن يهجر مجالسهم، ويلعن إمامهم، ويمزق شعاراتهم، ويحرق مقرات أحزابهم، في يوم من الأيام.

وفي انتخابات 2005، و2010، وحتى في انتخابات 2014 التي أعقبت انسحاب القوات الأميركية من العراق، كانت الجماهير العريضة ما تزال تمنح أصواتها لمرشحي أحزاب البيت الشيعي، ولجنة الحكومة، أملا منها في أن يؤولا بعهودهم، وينفذوا وعودهم، وأن يعملوا وينصفوا ويعوضوا، وأن اتبعهم ومقلديهم، على الأقل، إن لم يشملوا بعطفهم ورعايتهم باقي العراقيين، عما عانوه من فقر وبطالة وشحة في الغذاء والماء والدواء.

وإذ يأتي، اليوم، أصحاب العمام البيضاء والسود والخضر، في حسينياتهم وإذاعاتهم وفضائياتهم، وفي وسائل التواصل الاجتماعي، متذمرين مستغربين وشاكين، بمرارة، مما تتعرض له هبة المؤسسات الدينية العراقية من امتحان، وقلة ثقة، وعدم احترام، فإنهم وحدهم الملموسون. وليس من العقل ولا العدالة أن يُحملوا المجتمع، وحده، مسؤولي ذلك، ويتهموا شباب الأجيال الجديدة بالانحراف الخلقي، وبالابتعاد عن الدين، بل يجيز بعضهم استخدام القوة لردعهم وريدهم إلى ما كانوا عليه من ولاء سابق لأسيادهم المعممين، متهمينهم بالعمالة لقوى الكفر والإلحاد

إبراهيم الزبيدي  
كاتب عراقي

قبل البدء بكتابة هذا المقالة ينبغي، للأمانة، أن نعترف بوجود رجال دين شرفاء في العراق وروثوا عمائمهم أبا عن جد، وعرفوا وعُرفوا بأبوابهم وأجسادهم بالاستقامة والنزاهة والشرف الرفيع. ومنهم من كان مجاهداً والشرف ضد الظلم والاستبداد والاستعمار، وتحفظت الجيوش العريضة ما تزال العطرة ولا تنساه. أما الذين تعينهم المقالة هنا فهم الإسلاميون الذين تسلّموا السلطة في أعقاب الغزو الأميركي للعراق سنة 2003، سواء الذين يضعون عمامة بيضاء أو سوداء أو خضراء على رؤوسهم، أو يخفونها في قلوبهم وعقولهم، فأساعوا لأنفسهم ولأولياء أمورهم الدواخل والخارج، وللدين. فقيل أن يتسلم قادة حزب الدعوة وشيقاته وأشقائه في البيت الشيعي حكم العراق باسم الدين وباسم مظلومية الشيعة، بتسيب محدد بالأسماء المناصب من المرشد الأعلى الإيراني، والمرجعية في النجف، وبالتنسيق والتفاهم الكامل مع إدارة قوات الاحتلال المحتلة بالحاكم المدني بول بريمر، كانت الملايين التي انتفضت في تشرين الأول 2019 مشدودة بقوة إلى المرجعيات والمؤسسات والقيادات الدينية، وتغامر وتواجه احتمال الاعتقال أو الإغتيال أو الاعتداء وهي تزحف، بالملات والألوف، لتصلني خلف هذا المعمم وذلك، وهي مؤمنة بأنه

